إلى فضيلة الشيخ أبو العيون :

كان تجلدك الذي أمتنع على صدمة تلك المأساة ؛ ونبات جأشك في عصف ذلك الخطب ؛ موضع إكبار الجميع ؛ حتى عدت سابقة لفضيلتكم في هذا الميدان ، لقد تخطفت المنايا السود ولدك — وهو يمرح في أعطاف الرابعة عشر ربيعاً ، ويختال في حلة نسجت من طراءة العمر ، ونضارة الصبا ، لا تحوكها أنامل الحياة غير مرة ؛ فها هو ذا الشاب يلوذ بحمى — المستشفى — ليكف عادية الداء عن شبابه ؛ فإذا في ارتقابه بهذه الدار تلك السفينة التي تقلع بالإنسان إلى الشاطىء المجهول . ويهبط النبأ الفاجع على قلب — الشيخ — يا أسلاك البرق — قدحت أي زناد ! ! وأطرت أية شعلة بفؤاد — الشيخ — المرهف الشفوق . أية نافسة تحمل أمثال هذه الأنباء التي تنزل في عالم الشعور ؛ والإحساس ؛ وأي الم تفجره بين الجوانح تلك الكوارث . ولكن قوة إيمان الشيخ ، قد استطاعت أن تحول بين الشيخ ، وبين ما تستهدف له القلوب . فيأبى الشيخ . وهو السكرتير العام للأزهر والرجل الموصول بأئمة الأمة ؛ أن يذيع نعيه في الصحف ولا حتى بين الأصدقاء الأقربين .

وتوجه في قلة قليلة لا تعدو أصابع اليد الواحدة إلى — دار المستشفى — وحمل قطعة قلبه إلى حيث يوسدها المضجع الأخير وصلى عليها حيال القبر ؛ وعاد الشيخ ببعض النفس ؛ والبعض في القبر وتجلس إلى الشيخ فإذا هو باسم الثغر ، طلي الحديث . مؤنس المحضر . تدور أحاديث الدين ، والأدب ، والاجتماع ، كأننا لسنا في دار تكلت عزيزاً ؛ ولا بجوار شيخ حثى التراب على معارف كان يخشى عليها الثقل من موطىء الذر .

لم أكتب هذه الكلمة لتكون عزاء فأنت ، أيها الشيخ ، أسمى من أن يسوق العزاء سائق ؛ ولكن أريد أن أقدم نموذجاً لما تكون عليه الرجولة في الشدائد ؛ وأن يعرف الناس السنة الإسلامية التي يجمل بهم أن يستنوها مع من يشيعون .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — ولم لا نسأل عن أشياء ؟

أهي من عالم الغيب الذي استأثر الله بعلمه؟ أم هي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها ؟ أم نحن نشك في روايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورتها الحاضرة ؟ أم أغلق باب الاجتهاد في فروع اللغة كما أغلق عند جمهور العلماء في فروع الفقه ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ وإنما قصدت في كلمتي السابقة أن ألتمس الوجه الصحيح الخالي من الحدس والافتراض والتكلف لورود كلمة (أشياء) في القرآن الحكيم على صورة الممنوع من الصرف ، وإن بدا رأيي جريئاً غير مستساغ عند بعض الناس فحسبي أن يكون رائدي حسن النية ، وأن أفتح البحث أمام الذين يبحثون في وسائل تيسير النحو في هذه الآونة على المتعلمين حتى اقترحوا حذف (الممنوع من الصرف) من منهج التعليم الابتدائي لا نزاع في أن البحث من الجفاف بحيث لا يجمل الخوض فيه على صفحات المجلات ، ولذلك عرضته ملخصاً في الكلمة الأولى وما زلت على خطتي في هذه الكلمة ، وإن عسيراً أن أجشم القارىء درس موضوع من أيسر مسائله ادعاء بعضهم أن (أشياء) اسم جمع مثل (طرفاء) قدمت لأنه فعال على وزن (أفعاء) ؛ كل ذلك ليبرروا وروده ممنوعاً من الصرف في سورة المائدة ، وأنا بلا ريب أستحسن كثيراً رأي (الكسائي) الذي أورده الأستاذ الفاضل محمد غنيم في كلمته القيمة وملخصه أن (أشياء) جمع (شيء) جاء على صيغته الأصلية ، ولكن منع صرفه لكثرة استعماله في الكلام تشبيهاً له بالاسم المؤنث المنتهي بالألف الممدودة ، هذا أشبه بالحق ، وأدنى إلى حسن الذوق ولكن ماذا لو التمسنا المسألة وجهاً آخر ؛ مع التسليم المطلق بصحة الرواية ، أنا لا أزال أقول إن ورود الكلمة على صورة الممنوع من الصرف مبني على القاعدة النحوية المشهورة التي أوردها (ابن مالك) حيث قال :

ولاضطرار أو تناسب حرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

وقد طابق هذه القاعدة كثير من استعمالات العرب ، وخرج عليه بعض آي الذكر الحكيم ؛ وقد أشرت إلى ذلك في الكلمة السابقة ؛ والمسألة ترجع إلى الذوق الموسيقي المعبر عنه

(بالتناسب) فى كلام (ابن مالك) وإنه لو وردت (أشياء) مصروفة فى الآية الكريمة (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد ، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية هذا التناسق ، والسلامة من كل مظان التنافر ، وهذا — كما قلت — من أعظم وجوه الإعجاز ، ولولا ذلك لجرى على كلمة (الأشياء) ما يجرى على كلمة (أفيعاء) وأمثالها من جموع القلة التى توازنها ، ولا وجه للقياس على توالى المقطعين بتكرار (إن) فى قوله تعالى : (ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) كما يقول الأستاذ المجمى ، فإن القياس مع الفارق كما يقولون ؛ إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة (شىء) فى هذه الآية وفى الآية الثانية التى أوردها الأستاذ المجمى ، ويكون البدء بما بعد كلمة (شىء) فى الآيتين مما يزيد المعنى قوة ؛ وإذاً لا يتوالى المقطعان ، على أن همزة (شىء) مسبوقة بحرف لين صامت وهمزة (أشياء) مسبوقة بحرف مد صاعد ولذلك تأثيره فى ثقل المقطعين ، أما كلمة (أشياء) فى آية المائدة (وهى محل البحث فإنها مرتبطة بما يليها عن الآية الكريمة ارتباط الموصوف بصفته ؛ والصفة هنا قيد فى صاحبها ، فلا بد من وصلهما حتى يكون معنى النهى فى الآية واضحاً ولا بد إذاً من توالى المقطعين ، وهذا ما أجعله علة المنع من الصرف ؛ وعلى ذلك يمكن القول — فى غير حرج — أن ورود كلمة (أشياء) غير مصروفة راجع إلى الجو المحيط بها فى الآية الكريمة فلو خرجت منه جاز عليها ما يجوز على سواها .

ولا محل بعد ذلك للاعتراض الذى أدلى به الأستاذ محمد غنيم وخلاصته أنه لو كانت الكلمة ممنوعة لضبطت همزتها الأخيرة بالجر من غير تنوين ؛ فإنها بلا نزاع غير مصروفة (فى الآية الكريمة) فيجرى عليها حكم الممنوع من الصرف كاملا وتجر بالفتحة ؛ ولكن المنع صرفها سبباً فنياً غير الذى قالوه ؛ فهو فى رأى المتواضع (ولا يؤاخذنى الأستاذ المجمى) مبنى على اعتبار حسن الجرس والتناسب وعند القدامى الذين ندين لهم بالحق وعرفان الجميل مبنى على أسباب شتى ألمعنا إلى بعضها فى صدر المقال .

٢ — أخطاء مشهورة :

كثيراً ما نقرأ فى الصحف والمجلات بل فى كراسات الطلبة والتلاميذ — كلمات جرت على الألسنة ، واستفاضت ؛ حتى ليحسبها من قلت درايتهم بمتن اللغة من الصحيح ؛ ولعل من الخير للغة ودارسيها ، أن يتعقب أهل الدراية هذه الكلمات بالنقد البرىء والإرشاد الهادىء السديد ، وعلى منابر الصحافة العالية متسع لمن أراد الإصلاح ؛ ومن ذلك أننى قرأت أمس فى (الأساس) لشاعر ناشىء مقطوعة ظريفة بدأها ببيت مشتمل على كلمة (النضوج) وفى باب (الكتب والمؤلفات) فى (الاخوان المسلمون) كلمة قيمة فى التنويه بديوان (أين القمر ؟) للشاعر النابغة الأستاذ محمود حسن اسماعيل ورد فيها كلمة (خصوبة الخيال)

والذى أعرفه أن كلمتى (النضوج — والخصوبة) غير صحيحتين والصحيح أن يقال : (النضج والخصب) أما الكلمتان الأوليان فليستا من كلام العرب فيما أعتقد ؛ ومن أنكر فليغير والسلام .

محمود البسيونى
(بالأسكندرية)

حول كلمة القصير :

أرجو أن يعلم الأديب الفاضل « محمد مهدى أبو حامد » أن الكلمة التى كتب عنها تعليقه الكريم كانت فى الأصل «عنيدة» بالنون لا بالتاء فصنع بها التطبيع ماصنع ، كما لم تسلم عبارته أيضاً منه ، فقد كانت فى الأصل و «يقوض» فجعلها التطبيع «يقود» بالدال لا بالضاد وكأن القدر شاء له ذلك ليعذرنى فى خطأ لم ارتكبه ! ! .

ولا أذكر أنى كتبت طيلة حياتى — فى مختلف الصحف — مقالة سلمت من التطبيع ، وهو على كثرته — واضح يفطن إليه المتأمل ، وسبحان من تفرد وحده بالكمال .

هذا وللأديب الناقد شكرى وتحياتى .

محمد رجب البيومى